مُناقشات

مهمة الكاتب في المجتمع ...

بقلم ممدوح مولود

اود ان اسأل الاستاذ عبدالله القصيمي عما حدا به الى كتابة هذا المقال ! أهي الرغبة في تجديد التفكير الادبي ، واثارة موضوع يجد انه يستحق المناقشة والدرس والتحليل ؟ ام هي الرغبة في ابطال معتقدات، ونقد مفاهيم اصبحت بالية ، عقيمة ؟!..

اما جواب السؤال الاول فهو ان الموضوع لاول نظرة يدعو الى التفاؤل، ويغري بالمطالعة ... اما جواب السؤال الثاني فهو محاولة تشويه معتقدات واساءة الى مفاهيم . يتساءل .. هل يمكن ان تتغير حياة الناس من غير كتاب ؟ ويجيب : نعم . اما انا فاقول : لا . واعني بذلك ان الناس لا غنى لهم عن الكتاب، ولا حضارة لهم بدون الكتاب .

ونظرة عجلى الى ثورة الولايات الامريكية قبل اتحادها كافية لاقناعنا بحاجة الناس الى الفكر والكتاب . فان تلك الثورة لم تشب دون تفكير، ولم تندلع من غير فكر ، والا فهل كانت تتحقق اهدافها ؟ وجواب ذلك ان الفكر كان حتى في تلك الازمنة البعيدة قائدا للناس وزعيما على الآخرين ومعنى هذا ان الفكر هو القانون الاول للناس ، والشمس التي تنير طريق المجتمع . واما الرد الذي يوجه الى القول بان الكتب المقدسة لم يمكنها تحويل تعاليمها الى سلوك للذين يؤمنون بها فذلك عائد الى ضعف الجماعات التي نزلت فيها تلك الكتب ، وطيشها وضلالها .. ام اننا ننكر الاضطهادات التي لاقاها الرسول العربي في سبيل نشر الدعوة الى الدين الاسلامي .. ونغفل عن تذكر المدة الزمنية التي كافح ، وجاهد، وصبر، وتجلد ، لتغيير عقائد الكفار ، واثارة اذهان المتعصبين للاصنام ؟

ام ان الانبياء واصحاب الرسالات الانسانية ليسوا غير رمال لا مكان لها الا تحت الغربال ؟

ان المقال رغما من اثارته موضوعا يستحق المناقشة ، الا ان اسلوب معالجته ـ ولو اغضبت الاستاذ عبدالله ـ استسلامي، فيه تخاذل ، وفيه اقرار بالعجز ، وفيه اعتراف بعدم اهمية الادب في الحياة ، وفيه انحياز الى جانب الادب الانهزامي ، واعظم خطأ انزلق فيه الاستاذ هو الاقرار بعجز الادب عن معالجة امور الحياة ، والسمو بتفكير الناس ، ورفع شأن المجتمع ، والاصرار على اعتبار الادب ذا دور ثانوي في حياة المجتمع . ويتساءل .. كم من المفكرين والمصلحين اعطو افكارا وفلسفات ومذاهب ثم مروا في الطريق العام من غير ان تسير وراءهم الجموع او يحدثوا اية صدوع في بناء مجتمعهم ؟ .. وهذا غير صحيح بدليل ان سعد زغلول ومصطفى كامل واحمد عرابي .. كانوا ولا يزالون في صدر كل مواطن يعتد بوطنيته ، وفي ذاكرة كل انسان يحرص على انسانيته .. وما هم باموات انما هم احياء في صدورنا وفي قلوبنا ما دامت فيها نخوة ، وما دام فيها اباء ، لكن مالي اتسرع فارد على ما يثير دون ان اتأكد من الفترة التي كتب فيها هذا المقال ؟!..

ان مما لا يقبل الشك ، الجزم بان هذا المقال قد كتب في لحظة غير واعية ، فتخيل الكاتب بان في وسعه ان يكتب ما يشاء سواء احسن ام اساء ، يشهد على ذلك الاصرار المتلاحق المنبث في ارجاء المقال بصورة ظاهرة واضحة للعيان .

لكن هل من الحق ان نكتب دون ان نعي ما نكتب ؟ واذا كتبنا دون ان نكون واعين ، يقظين عادلين ، فاي ادب هذا الذي نكتبه ؟ واذا كان المجتمع لا يتغير بكتابة كاتب ، او بتفكير مفكر فلماذا نجهد انفسنا في كتابة مواضيع لا تريد ان تنزل الى مستوى تفكير اقل عدد ممكن من الناس لنضمن لانفسنا حسن الثواب ؟

واريد ان يطمئن الاستاذ عبد الله بان المجتمع بخير ما دام الكتاب والمفكرون بخير ، وهو في شر اذا هدد كتابه ، وارهب مفكروه ، وليس كما شاء ان يثبت ، فجاءت المحاولة مفتقرة الى الاثباتات الدامغة والبراهين المقنعة ، ام يطلب منا الاقتناع بلا شاهد وبلا اثبات ؟!

ولو شئنا الاقتناع بما يراد فهل يتصور اننا مقتنعون بان الناس اقوى من الادب ؟ ابدا ... فمتى كان الناس يفرضون اراداتهم على الادب ؟ ان الادب الصحيح ليس ذلك الذي يحب الاستاذ ان يعرفنا عليه ، فالادب الذي ندعو اليه ، هو ادب حياة لا ادب موت ، هو ادب سمو لا ادب انحطاط ، هو ادب عامل لا ادب هادم ، هو ادب مصلح لا ادب لاه ، وليس كما يحلو له ان يسميه ، محاولا ان ينال منه ، ويحط من شأنه.

ان المقال ولغه ودورانه في صفحاته الاربع لا يعطينا نتيجة تدعو الى التفاؤل وتبعث على الرضى ، وكأن القارىء المتعطش مدعو الى التشاؤم والسخط والتراجع عن اعتقاداته في الادب والفن واعتبارها امورا جوفاء لا تقود الحس والشعور في نفس الجماهير بل يقودها الجمهور بنفسه الى ما يشاء من تسلية ولهو وتهريج ..

وهذا تناقض ما بعده تناقض . نحن ندعو الى السمو بالناس عن طريق الادب والفن بينما يدعو غيرنا الى السمو بالناس عن طريق الناس انفسهم ، كأنما كان عامة الناس في يوم من الايام ذوي كفاءات او مواهب تغنيهم عن آيات الادب والفن التي يتحفهم بها اصحاب الكفاءات والمواهب؟!

ويقول : الكاتب يكتب بعض احاسيس الجماعة وارادتها فيرضى عن نفسه ويذهب به الظن انه خالق عظيم والحقيقة انه مخلوق .

حسنا ليأت لي الكاتب بواحد من الغوغاء وليطلب منه خلق قطعة ادبية صغيرة ؟

اما النقاط الحساسة في الموضوع فأكثر من ان تحصى ، او يحيط بها نقد في مقال واحد. لكن ما يستحق من بينها درجة الافضلية هو هذه الفقرة التي تطالعك ملتمسة منك العذر لقبولها والرضى بها لا كعادة ما سبق من الفقرات التي تفرض نفسها دون ملاطفة او مداراة ، بل باسلوب لين ، ديبلوماسي اقرب الى الاستهواء .. اذ يقول : وهم لا يريدون ان يجدوا موضوعات دائمة يغارون عليها ويكتبون فيها .. ان احتياج الكاتب الى وجود الفساد والخطأ كاحتياج الطبيب الى وجود المرضى !..

اذن فهم يريدون ان يتسلوا وان يثرثروا بما يكتبون لارضاء نفوسهم الفارغة واضحاك الجماهير ؟..وهم اذن لا يكتبون بدافع وطني ، او قومي ، او انساني ؟ هذا رأي غريب من كاتب يقيم في بيئة ادبية حافلة بالمفكرين الافذاذ ، وفي عصر يؤمن بقوة كل فكرة ، ويسعى الى جعل الادب ركنا اساسيا من اركان النهضة المدنية ، ومبشرا بالحب وبالاخاء وبالسلام .

واخيرا يلذ لي ان اخطي ما جاء في نهاية الفقرة السابقة فالطبيب لا يمتهن مهنة الطب ليستغل من ورائها المرضى .

الاديب يعيش ليدعو الى حياة ليست بين ايادي الناس وليظهر مساوئهم وحسناتهم ليصلحوا انفسهم ويكونوا على استعداد لمسايرة التقدم العالمي حسيا وشعوريا وفكريا واخلاقيا ، فهو بمثابة ناقد للمجتمع وثائر على التقاليد ، والا فلماذا يسعى الى ذلك اذا لم يكن راغبا في تغيير المجتمع ؟!..

اما اذا كانت الحياة الاجتماعية غير قادرة على رعاية الادب ، وكان الحكم السياسي غالبا ، وكانت الصحف منهمكة على اوسع نطاق باحداث السياسة ، وبتطور العلاقات الدولية ، فان هذا الوضع سيحول دون شك ما بين الاديب وبين الغاية المرجوة من ادبه .

وشتان ما بين مجتمع لا يعنى بالادب ، وبين ادب يعنى بالمجتمع !!

وعفا الادب عن طه حسين ، انه يقصر هذه الايام في واجب النقد .

حلب — **ممدوح مولود**

حول (الكاتب لا يغير المجتمع)

بقلم : كاظم حطيط

(الكاتب لا يغير المجتمع) ذلك هو عنوان مقالة الاستاذ عبدالله القصيمي في العدد الماضي من مجلة الآداب الغراء . وانه لقول غريب لا يقرن الواقع ولا يستند الى ادلة ثابتة : ويلجأ حضرة الكاتب الى تجريد كتاب تحرير المرأة لقاسم امين من كل اثر في تقدم المرأة المصرية خاصة والعربيةعامة. وان زعيمات النهضة النسائية العربية تضرب بهذه التهمة العجيبة عرض الحائط وذلك باعترافهن بفضل قاسم امين الكبير على نهضتهن وتعلقهن الشديد باقواله واتخاذهن له الرائد الاول في الشرق لتحرير المرأة العربية من التأخر والعبودية . ويقول كاتبنا ان الكتاب يخلفهم المجتمع كالتجار والعمال وسائر اصحاب الحرف. ونحن مع اعترافنا باهمية التجار والعمال وغيرهم من المواطنين لا نستطيع انْنحشرهم مع الكتاب في صف واحد من حيث التوجيه والقيادة . وليس بالامكان ان ننتكر لحقائق التاريخ . فان كثيرين من الكتاب استطاعوا ان يؤثروا تأثيرا كبيرا خالدا في تغيير مجتمعاتهم كمكسيم غوركي وتولستوي ودستوفسكي وبوشكين وتشيخوف في روسيا وكفولتير وروسو وديدرو في فرنسا وكماتزيني في ايطاليا ونيتشيه في المانيا وماوتسي تنغ فين الصين ، وككتاب النهضة العربية الحديثة في الوطن العربي . ويشتد حضرة الكاتب في حملته على الكتاب فيجردهم من كل امتياز عنمجتمعاتهم فاذا هم في رأيهمتأخرون اذا ما كان مجتمعهم متأخرا وتقدميون اذا ما كان مجتمعهم متقدما وكأنهم نسخة طبق الاصل عن مجتمعاتهم . ولكن الحقيقة هي غير ما ذهب اليه الاستاذ القصيمي . فكثيرون من الكتاب اختلفوا عن مجتمعاتهم اختلافا كبيرا فبينما كانت مجتمعاتهم تهيم في دروب الجهل والانحطاط كانوا هم على جانب كبير من الثقافة والوعي والنور ولم يجدوا بدا حيال ذلك من ان يتسلموا قيادة شعوبهم الى حياة ارقى وافضل . وليس من مثقف يجهل ما كان لولي الدين يكن والشيخ محمد عبده والكواكبي والريحاني ولمكسيم غوركي ودستوفسكي ولروسو وماتزيني وغيرهم من امتياز وتفوق على مجتمعاتهم . وما زال لكلمة ولي الدين قوة وصدق وذلك حينما قال «يريدون ان اكتبما لا اريد واريد ان اكتب ما لا يريدون وان لم يقبلوا اليوم على قراءة كتبي فسيقبل على ذلك في غد اولادهم » وهل كان ولي الدين الا محاربا للجبروت والطغيان والتعصب والجمود ؟. وما كانت جملة حضرة الكاتب في مقالته المذكورة على الكتاب فحسب بل انها شملت الرسل والقادة وسائر المفكرين .. وذا هو يقول : « وكم من سقراط ومسيح هبت المجتمعات تريد قتلهم ان يستطيعوا تغييرها » . ولكن الا ينبغي للاستاذ القصيمي ان يعترف معي بان المسيح وسقراط وغيرهما من القادة العظام استطاعوا ان يغيروا مجتمعاتهم وان لم يحدث ذلك في حياتهم القصيرة فقد امتد تأثيرهم بعد وجودهم الارضي حتى استطاع ان يسيطر سيطرة تامة على مواطنيهم ؟ والا فما معنى هذا الانقلاب الذي حدث في فلسفة اليونان وفي دين الرومان ؟ ويقول ايضا : (ان الكتب المقدسة التي يؤمن بها الناس اقوى ايمان لا يمكن ان تتحول تعاليمها الى سلوك للذين يؤمنون بها » واني لاعجب من تجاهل الكاتب لما كان عليه المسيحيون والمسلمون الاول من صدق في الايمان وفي السلوك والا فما معنى استشهادهم في سبيل عقائدهم المسيحية والاسلامية ؟ ثم يقول : حتى المعتقدات والمذاهب والفسلفات التي توجه الجماهير ليست من صنع الكتاب والمفكرينوغيرهم ونحنلا نستطيع ان ننكر وجود مسيحيين ويهود ومسلمين وشيوعيين ورأسماليين ووجوديين وغيرهم . وهل كان هؤلاء الناس اتباع رسالات سماوية فلسفية؟ ويهاجم الاستاذ القصيمي العقل فيجرده من كل تأثير في التوجيه والاقناع ولكنها حملة باطلة وان اراء غوستاف لوبون وبرغسون لا تكفي في هذا المجال فان التجارب اثبتت وتثبت دائما ان مؤمن العقل هو اكثر ثباتا في ميادين النضال من مؤمن العاطفة وان ايمان العاطفة لا يمكن ان يدوم مع الزمن اذ انه يتبدد اذا ما تبددت اسبابه المظهرية . وليعمل الكتاب العرب على ابعاد كل اسباب التأخر عن مجتمعهم مفوتين على المستعمرين والاذناب الفرص . وان المجتمع العربي ليتطلب منهم ان يؤمنوا اقوى ايمانبرسالتهم الاجتماعية التقدمية دون ان يبالوا باية فكرة تدعوهم الى الاستهانة بمكانتهم العظيمة وبمقدرتهم الحكيمة على تبديل اوضاع مجتمعهم بافضل وارقى .

كاظم حطيط

يصدر هذا الشهر

في القومية العربية

للاستاذ عبد للطيف شراره

دراسة موضوعية ، عميقة ، شاملة لكل ما يتصل بالقومية العربية من اسس ومباديء واراء واتجاهات ، ومها من اثر في الحياة الدولية ومستقبل الحضارة البشرية .

منشورات عويدات ــ بيروت